

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(37) وفي هذا الصدد يقول السيد المرتضى: ما حقيقة العصمة التي يُعتقد وجوبها للأنبياء والآئمة؟ وهل هي معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية، أو معنى يضام الاختيار؟ فإن كان معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية، فكيف يجوز الحمد والذم لفاعلهما؟ وإن كان معنى يضام الاختيار فاذكروه، ودُلُّوا على صحة مطابقته له. (1)

والجواب: إنَّ العصمة لا تسلب الاختيار عن الإنسان بأي معنى فسرت، سواء أ قلنا بأنَّها الدرجة العليا من التقوى، أو أنَّها نتيجة العلم القطعي بعواقب المآثم والمعاصي، أو أنَّها أثر الاستشعار بعظمة الرب والمحبة ﷻ سبحانه، وعلى كل تقدير فالإنسان المعصوم مختار في فعله، قادر على كلا طرفي القضية من الفعل والترك، وتوضيح ذلك بالمثال الآتي:

إنَّ الإنسان العاقل الواقف على وجود الطاقة الكهربائية في الأسلاك المنزوعة من جلدتها، لا يمسُّها كذلك، كما إنَّ الطبيب لا يأكل سوَّر المجذومين والمسلولين لعلمهما بعواقب فعلهما، وفي الوقت نفسه يرى كل واحد منهما نفسه قادراً على ذلك الفعل، بحيث لو أغمض العين عن حياته وهياً نفسه للمخاطرة بها، لفعل ما يتجنبه، غير أنَّهما لا يقومان به لكونهما يحبان حياتهما وسلامتهما. فإن شئت قلت: إنَّ العمل المزبور ممكن الصدور بالذات من العاقل والطبيب، غير أنَّه ممتنع الصدور بالعرض والعادة، وليس صدوره محالاً ذاتياً وعقلياً، وكم فرق بين المحالين، ففي المحال العادي يكون صدور الفعل من الفاعل ممكناً بالذات، غير أنَّه يرجح أحد الطرفين على الآخر بنوع من الترجيح بخلاف الثاني فإنَّ الفعل فيه يكون ممتنعاً بالذات، فلا يصدر لعدم إمكانه الذاتي. _____ 1 . أمالي المرتضى: 2/347.